من مقامات المقال في القرآن الكريم :

دكتور / داؤود يعقوب آدم عبد الله

جامعة النيلين – كلية الآداب

قسم اللغة العربية

المستخلص :

هذا البحث عبارة عن دراسة الأساليب اللغوية الدقيقة ، أي : دراسة " لكل مقام مقال " في القرآن الكريم ، والهدف منه تناول الأساليب البلاغية العالية ، وتيسر فهم القرآن الكريم لطلاب اللغة العربية والباحثين فيها .

ولتحقيق هذا الهدف اتبع الباحث منهجاً وصفياً تحليلياً ، أي : تتبع ما أورده العلماء في كتب البلاغة والتفسير والطرائق التى اتبعوها بالوصف والتحليل .

وتوصل البحث إلى نتائج ، أهمها أنّ ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول مطابقته للاعتبار المناسب (مقتضى الحال) ، ووضح البحث من خلال التطبيق على القرآن الكريم أنّ أساليب التوكيد التى استخدمت في سورة " يس " لمخاطبة أصحاب القرية ، جاءت وفقاً لمقاماتهم ، أي ازدادت أدوات التوكيد عندما أنكروا إرسال الرسل ، كما كشف البحث أنّ السلام الملقى على عيسى – عليه السلام – يختلف عن السلام الملقى على يحيى عليه السلام ؛ لأنّ السبب دخول " ال " التعريف في السلام الملقى على سيدنا عيسى – عليه السلام – ولم يدخل على السلام الملقى على سيدنا يحيى عليه السلام ، وكذلك بيّنَ البحث اختلاف الدلالة البلاغية لكلمة " السبيل " عند الإفراد والجمع ، كما بيّنَ البحث أنّ ترك العطف في سورة "البقرة " عند تقتيل الأبناء واستحياء النساء يفيد بيان لسوم العذاب ، وأمّا ذكر العطف في سورة "إبراهيم" فيدل على تعداد النعم وتفصيلها .

Abstract

This research is a sort of a study of the subtle linguistic styles, i.e. the study of each station has a saying in the Holy Quran and it aims at investigating the sublime rhetorical styles and it facilitates the comprehension of the Holy Quran for the Arabic language students and the researchers therein.

For the achievement of this objective, the researcher adopted a descriptive/ analytical method. That is to say, to trace through description and analysis what the scholars has mentioned in the rhetoric and commentary books and the methods which were adopted by them.

The research arrived at findings and important among them, is that the elevation of the state of the speech in terms of excellence and acceptance is its conformity to the appropriate consideration (according to the circumstances). The research explained through the application on the Holy Quran that the techniques of affirmation which were used in the chapter of "Yassin to address the companions of the city, are in accordance with their stations, i.e., the affirmative tools increased when they rejected the sending of the messengers. Likewise, the research revealed that the peace given Eisa – upon him be peace – differs from the peach which was given upon Yahiya – upon him be peace – because the reason is the entrance of the definite article

(*al*) in the peace given upon *Sayyidna* Eisa and it didn't enter on the peace given upon *Sayyidna* Yahiya – upon him be peace). The research use indicated the difference of the rhetorical signification of the word "path" when it is put in the singular and the plural. The research also showed that leaving of the apposition in the chapter Al-Bagarah at the slaughtering of the sons and the sparing the women is an explicative apposition indicating the hard tasks and chastisement and as for the mentioning of the opposition in chapter "Ibrahim" it indicates the enumeration and multiplicity of the bounties and putting them in detail.

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم .

عند النظرة الأولى في النظم القرآني ، قد لا ندرك الأسرار البلاغية الدقيقة التى تفيدها الاستخدامات المختلفة ، قد نجد جملة مؤكدة وأخرى خالية من التوكيد ، ونجد لفظ مفرد في سياق وجمعاً في سياق آخر ، وكلمة معرفة في موضع ونكرة في موضع آخر ، ووردت "واو" العطف في تلك الآية ولم ترد في الآية الأخرى ، ولكن هذه التعابير والمختلفة وراءها أغراض بلاغية دقيقة وأسرار لغوية سامية ، وهذا كلّه يرجع إلى أنّ " لكلّ مقام مقال " ، ولتوضيح ذلك جعلتُ ميدان دراستي " القرآن الكريم " ، أي : وقفتُ على نماذج من آيات الذكر الحكيم بالتطبيق والتحليل ؛ لكي تتضح لنا التعابير الدقيقة التى استخدمت في القرآن الكريم ؛ لأنّه أهمّ مصدر للغة العربية .

أسباب اختيار الموضوع :

قصدتُ المعرفة الدقيقة لأساليب اللغة العربية في القرآن الكريم والتدريب عليها ، وكذلك ترغيب طلاب اللغة العربية في معرفة علوم القرآن .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى ربط منهج اللغة العربية بالقرآن الكريم وعلومه ، وتيسر الفهم لطلاب اللغة العربية الذين يردون البحث في علوم القرآن وتفسيره .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في توضيح أسرار العربية ودقائقها من خلال التطبيق على القرآن الكريم .

منهج البحث :

في هذا البحث اتبعتُ المنهج الوصفي التحليلي ، أي تتبعتُ ما أورده العلماء في كتب البلاغة والتفسير بالوصف والتحليل .

والمقصود بـ" لكلّ مقام مقال " تخيير الألفاظ ونظمها وفقاً لمقتضى الحال ، كما أشار إليه الجاحظ في البيان والتبين[1] ، وقيل : " خير الكلام ما كان مطابقاً لمقتضى الحال "[2] .

وقال الجاحظ : " لكلّ مقام مقال ولكلّ صناعة شكل " [3] ، وقال السكاكي : " إنّ مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال ... "[4] .

ويرى الخطيب القزويني ارتفاع شأن الكلام بمطابقته لمقتضى الحال ، وينحط بمخالفته لمقتضى الحال ، وذلك في قوله : " ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول مطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب ، وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم "[5] .

وقيل لكلّ مقام مقال وليس كلّ ما يعلم يقال ، وهذا ما يوافق قول عبد القاهر الجرجاني ، عندما أراد الحديث عن الحذف والذكر ، وهو يقول : " هو بابٌ دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه

---

[1] - الجاحظ ، البيان والتبين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي (مصر) ، د . ت ، ج1 ، ص : 93 .
[2] - الجاظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، شركة البابي الحلبي (مصر) ، ط2 -1966م ، ج1 ، ص : 201 ، وأبوهلال العسكري ، الصناعتين ، شرح وتعليق : محمد أمين الخانجي ، ط2 ، ص : 21 ، 27 .
[3] - الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ، ص : 369 .
[4] - السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحقيق : الدكتور/ عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، ط1 – (1403هـ - 1980م) ، ص : 8 .
[5] - الخطيب القزويني ، الإيضاح ، مطبعة السنة المحمدية ، د . ت ، ص : 9 .

بالسحر فإنّكَ ترى الحذف ، أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بياناً ، إذا لم تبن . وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتعرفها حتى تنظر "[6] .

ومن خلال هذه التعاريف يتضح لنا أنّ للغة مقامات وأمكنة تختلف وفقاً لمقتضى الحال ، فمقام التنكير يختلف عن مقام التعريف ، وكذلك مقام الذكر يختلف عن مقام الحذف ومقام الإيجاز يختلف عن مقام الإطناب .

ومن الأمثلة التى تؤيد ما سبق من التعاريف ما رُوي عن الأنباري في قوله : " ركب الكندي المتفلسف[7] إلى أبي العباس المبرد وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً ، فقال له أبو العباس : في أي موضعٍ وجدتَ ذلك ؟ فقال : أجدُ العرب يقولون : عبد الله قائمٌ ، ثُمّ يقولون : إنّ عبد الله قائمٌ ، ثُمّ يقولون : إنّ عبد الله لقائمٌ ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحدٌ .

فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : عبد الله قائمٌ . إخبار عن قيامه ، وقولهم : إنّ عبد الله قائمٌ . جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : إنّ عبد الله لقائمٌ جوابٌ عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني ، قال : فما أحار المتفلسف جواباً "[8] .

وعند التطبيق على القرآن الكريم سيتضح لنا " لكل مقام مقال " ، نحو قوله تبارك وتعالى : "واضربْ لَهُمْ مثلاً أَصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أَرسلْنَا إليهم اثنين فَكذبهما فَعززْنَا بِثالثٍ فقالُوا إنَّ إليكُمْ مرسلون قالُوا مَا أنتُمْ إلاّ بَشرٌ مثلُنَا ومَا أنزلَ الرحمنُ من شَيءٍ إنْ أَنتُمْ إلاَّ تكذبونَ قَالُوا رَبّنَا يعلمُ إنَّا إليكُمْ لمرسلون وَمَا علينَا إلاّ البلاغُ المبين "[9] .

عند تدقيق النظر وتأمل هذه الآيات الكريمة المذكورة من سورة "يس" التى تتحدث عن الذين أنكروا إرسال الرسل تتجلى لنا مقامات المقال ، فننظر : عندما أرسل إليهم اثنين من الرسل "فكذبهما" ، فكان التعزيز برسول ثالث ، فقالُوا : " إنّا إليكم مرسلون " ، وجاء ردّ أصحاب القرية : " ما أنتم إلاّ بشرٌ مثلنا وما أنزل الرحمن من شيءٍ إنْ أنتم إلاّ تكذبون " ، ولمواجهة هذا الإنكار ، قالت الرسل : " ربّنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون وما علينا إلاّ البلاغ المبين " .

---

[6] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : د/ محمد التنجي ، دار الكتاب العربي (بيروت) ، ط1- (1425هـ - 2005م) ، ص : 106 .

[7] - هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق من فلاسفة العرب ، 185هـ - 256هـ ، انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام ، د/ محمد عبد الهادي أبوريدة ، مكتبة النهضة المصرية ، ص : 114 .

[8] - الإيضاح ، مرجع سابق ، ص : 19 .

[9] - سورة يس ، الآية : 13-17 .

" فكذبهما " : إخبار بوقوع التكذيب ، والتكذيب يقتضي التوكيد ، فجاء قوله تبارك وتعالى : " إِنَّا إِليكُمْ مُرسَلُون " ، حيث أُكدَ الخبر بـ" إنّ " وتقديم الجار والمجرور ، وبعد هذا التوكيد لم يستجيب أصحاب القرية بل ازدادوا إنكاراً وتكذيباً ، وقالوا : " ما أنتم إلاّ بشرٌ مثلنا ما أنزل الرحمن من شيء إِنْ أَنتُمْ إلاَّ تَكَذبُون " ، فزيادة الإنكار تتطلب توكيداً أكثر وأقوى من التوكيد السابق ، فكانت الإجابة في قوله تبارك وتعالى : ربّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِليكُمْ لمرسَلُونَ وَمَا عَليْنَا إِلاَّ البَلاغُ المَبينُ " ، فقد تضاعفت وسائل التوكيد ، نحو زيادة اللام في قوله تعالى : " لمرسلون " ، والتخصيص بأسلوب القصر ، نحو قوله تعالى :" ما علينا إلاّ البلاغ المبين " ، فقصرت مهمتهم على البلاغ المبين فقط ولا تتجاوز إلى شيء آخر.

فننظر كيف جاء التوكيد ملائماً لحال المخاطب وما هو عليه من إنكار ، سبحان الله حقّاً لكلّ مقام مقال ! .

وقد يكون السبب في التوكيد رغبة المتكلم في تقوية مضمون الكلام عند المخاطب وتقريره في نفسه وإن كان غير منكر له ، نحو قوله تبارك وتعالى : " إِنّا نَحْنُ نَزلْنَا عَليكَ القُرآنَ تَنْزِيلاً " [10] ، وكذلك قوله تبارك وتعالى : " إِنّني أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبدني واقْمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي "[11] .

فالمخاطب في هذه الآيات هو الرسول عليه الصلاة والسلام ، وليس لديه أدنى شك في هذه القضايا ، ولكن الغرض من التوكيد هنا زيادة تقرير المعنى في نفسه – عليه الصلاة والسلام– حتى يبلغ به عين اليقين ([12]) .

وقد يكون التوكيد لتحقيق الوعد كما جاء في قوله تبارك وتعالى : " إِنّ اللهَ يدافعُ عَنِ الذّينَ آمنُوا "[13] ، وقوله تبارك وتعالى : " أُذِنَ للذينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهم ظُلِمُوا وَإِنّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" [14] ، فمقام الوعد من مقامات التوكيد لتزداد النفوس به يقيناً واطمئناناً . ومثله مقام الوعيد كما جاء في قوله تبارك وتعالى : " إنّكم وَمَا تعبدُونَ من دونِ اللهِ حصب جهنم أنتم لها واردون "[15] .

---

[10] - سورة الإنسان ، الآية : 23 .
[11] - سورة طه ، الآية : 14 .
[12] - انظر خصائص التراكيب ،محمد محمد أبو موسى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ص : 60 .
[13] - سورة الحج ، الآية : 38 .
[14] - سورة الحج ، الآية : 39 .
[15] - سورة الأنبياء ، الآية : 98 .، انظر خصائص التراكيب ، مرجع سابق ، ص : 61 .

وقد يكون التوكيد لغرابة الخبر ، وحرص المتكلم على أن يونس به نفس المخاطب وإنْ كانت لا تنكره ، وإنّما هي في حاجة إلى ما يهيّؤها لقبوله ومنه قوله تبارك وتعالى : " فَلَمّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِيءِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي البُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ "[16] .

فقد أُكد " إنّي أنا الله ربّ العالمين " ، ليونس نفس موسى عليه السلام بالخبر ويحيط ما عساه يعلق بالنفس في مثل هذا الموقف ، فقد انطلق عليه السلام ليأتي أهله بخبر أو جذوة من النّار لعلهم يصطلون وبينما هو ذاهب إلى هذا الغرض فجاءَهُ نداء الحق سبحانه من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة وهذا موقف غريب فاحتاج إلى توكيد ([17]) . ومثله قوله تبارك وتعالى – يخاطب سيدنا موسى عليه السلام عندما رأى أفاعيل السحرة وأوجس في نفسه خيفة – " لا تخفْ إنّك أنتَ الأعَلى " [18] ، فأكد قوله تعالى : إنّكَ أنتَ الأَعلى " بجملة من التوكيدات ليزيل وحشة نفس موسى في هذا المقام وإنْ كان سيدنا موسى عليه السلام على اليقين الأكمل من وعد ربه .

وقد يكون التوكيد إظهاراً لمعتقد النفس وإبرازاً له لتزداد النفس يقيناً به ؛ لأنّ مقامها يقتضي ذلك نحو قوله تبارك وتعالى : " الذّينَ إِذَا أَصابتْهُم مصيبةٌ قَالُوا إِنّا للهِ وَإِنّا إليه راجعون " [19] فإنَّ المصيبة قد تقلق النفس وتهز اليقين وعندئذٍ تلوذ النفس المؤمنة بكينونتها للهِ ورجعتها إليه فتعلن ذلك وتؤكده لتثبت في مواجهة الشدة([20]) .

ومن مقامات المقال في القرآن الكريم التعريف والتنكير ، وخير أنموذج لفظ "السلام" قد ورد في القرآن الكريم معرفاً في آية ومنكراً في آية أخرى ، فقد ورد منكراً في قوله تبارك وتعالى : " يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وءَاتيَْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً وَحَنَاناً مِنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقياً وَبَراً بِوَالِدَيْهِ ولَمْ يكنْ جَبَّاراً عَصِياً وسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يُموتُ ويَوْمَ يُبعثُ حَيّاً "[21] ، وورد معرفاً في قوله تبارك وتعالى : " قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ ءَاتَنِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وجَعَلَنِي مُبَاركاً أينَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بالصَّلاةِ والزَّكاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً وبَراً بِوالدتِي وَلَمْ يَجْعَلَنِي جَبَّاراً شَقياً والسَّلامُ عَليّ يَومَ وُلدْتُ ويومَ أَموتُ وَيَوْمَ وأُبْعَثُ حَيّاً "[22] .

---

[16] - سورة القصص ، الآية : 30 .
[17] - خصائص التراكيب ، مرجع سابق ، ص : 62 .
[18] - سورة طه ، الآية : 68 .
[19] - سورة البقرة ، الآية : 156 .
[20] - خصائص التراكيب ، مرجع سابق ، ص : 62 .
[21] - سورة مريم ، الآية 12-15 .
[22] - سورة مريم ، الآية : 30-33 .

عند إنعام النظر والتأمل في سياق هاتين القصتين اللتين وردتا في الآيات الكريمات المذكورات من سورة " مريم " ومن خلال الوقوف على كتب التفاسير والبلاغة ([23]) ، يتجلى لنا ما يلي :

1 -السلام الملقى على يحيى – عليه السلام – من قبل الله تعالى ، والقليل منه كثير ومغنٍ عن كل تحية ولذا جاء نكرة والنكرة تفيد العموم والشمول ، وبتتبع آيات الذكر الحكيم نجد أنّ السلام لم يرد من قبل الله تعالى إلاّ نكرة ، نحو قوله تبارك وتعالى : " سلامٌ قولاً من رَبٍّ رحيمٍ "[24] ، وقوله تبارك وتعالى : " قيل يا نوحُ اهبط بسلامٍ منا وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ معكَ " [25] ، وقوله تبارك وتعالى : " وتركنا عليه في الآخرين سلامٌ على نوحٍ في العالمين ... سلامٌ على إبراهيم ... سلامٌ على موسى وهارون ... سلامٌ على إلياسين "[26].

2 -في سياق قصة سيدنا عيسى – عليه السلام – اتهام لمريم ، " قالوا يا مريمُ لقدْ جئتِ شيئاً فرياً يأختَ هارونَ ما كانَ أبوكَ امرأَ سوءٍ وما كانتْ أمكِ بغياً " [27] ، فيصح أن تكون اللام في (والسلام) للجنس ، والمعنى عندئذٍ على التعريض باللعنة والعذاب لمن اتهم مريم – رضي الله عنها – وبيانه أنّ اللام للجنس ، فإذا قال : وجنس السلام عليّ خاصة ، فقد عرض بأنّ ضده وهو اللعنة والعذاب عليهم .

ونظير ذلك قوله تبارك وتعالى : " والسلام على من اتبع الهدى " [28] ، فهي تعريض بأنّ العذاب على من كذب وتولى ، ولم يتبع هدى الله الذي أرسل به أنبياءه .

هكذا يتجلى لنا أنّ المقام وسياق النظم القرآني اقتضى تنكير السلام الملقى على سيدنا يحيى عليه السلام ، وتعريف السلام الملقى على عيسى عليه السلام.

ومن مقامات المقال ، مقام الإفراد ومقام الجمع ، أي : دلالة الإفراد تختلف عن دلالة الجمع ، نحو قوله تبارك وتعالى في سورة الأنعام : " وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبلَ فتفرق

[23] - بسيوني ، من بلاغة النظم القرآني ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ط1- (1413هـ - 1992م) ، ص : 14 ، والزمخشري ، الكشاف ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 – 1992م ، ج2 ، ص : 202 .
[24] - سورة يس ، الآية : 58 .
[25] - سورة هود ، الآية :48 .
[26] - سورة الصافات ، الآيات : 79 ، 109 ، 120 ، 130 .
[27] - سورة مريم ، الآية : 27 ، 28 .
[28] - سورة طه ، الآية 47 .

بكم عن سَبيلِهِ ذَلكم وصاكم به لعلكم تتقونَ " [29] ، وقوله تبارك وتعالى في سورة يوسف : " قُلْ هَذَهِ سَبِيلِي أَدعُواْ إِلى اللَهِ عَلَى بصيرةٍ أَنْا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مَنِ المُشْرِكِينَ"[30] .

قد جاء التعبير في سورة الأنعام عن ملة الإسلام بإفراد الصراط والسبيل ، وجاء التعبير عن طرائق أهل الضلال بالجمع " ولا تتبعوا السُبلَ " ؛ لأنّ الطريق الموصل لمرضاة الله – سبحانه وتعالى – واحد ، وهو الدين الحقّ ، ولذا أُمِرَ النبي– صلى الله عليه وسلم– في سورة يوسف أنْ يقول للناس : إنّه ماضٍ على هذا الطريق الواضح ، يدعو إلى الله على بصيرة من نور الله وهديه " قُلْ هذهِ سبيل أدعُواْ إِلى اللهَ على بصيرةٍ أَنَا وَمنِ اتَّبعنِي " ([31]) .

فَأُفرد " السبيل " عندما أُريدَ به دين الله وملة الإسلام ؛ لأنّها واضحة لا لبس فيها ، قالَ تبارك وتعالى في سورة الأنبياء : " إنَّ هَذِهِ أُمتكُمْ أُمةٌ واحدةٌ وَأَنَا ربُّكُمْ فَاعْبُدُونِ " [32] وجُمع " السبيل " عندما أُريدَ التعبير عن طرائق الضلال ؛ لأنّها متعددة ولا تُؤدي إلأى خير ، نحو قوله تبارك وتعالى : " لا تتبعوا السُبلَ فتفرق عن سبيله " .

ومن الملاحظ في سورة الأنبياء ، عندما أُخبِرَ عن الملة بأنَّها واحدة ، كانَ أهلها حاضرينَ ، يُخاطبون " أمتكم ... أنا ربكم فاعبدون " ، فلّما تفرقوا وتقطعوا وصاروا شيعاً ، اُلتفِتَ عنهم ؛ لأنّهم غابوا عن الخير ودين الحق ، ولم يكونوا أهلاً للخطاب عندما تركوا الملة الواحدة ([33]) .

وكذلك من مقامات المقال ذكر العطف وتركه ؛ دلالة ذكر حرف العطف تختلف عن تركه ، نحو قوله تبارك وتعالى في سورة البقرة:" وإِذْ نَجيْنَاكم مِّنْ ءَالِ فِرْعَونَ يسُومُنكُمْ سُوءَ العذَابِ يُذبحونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحيُونَ نِساءَكُمْ وَفِي ذَلكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَّبِّكُمْ عَظيمٌ " [34]، وقوله تبارك وتعالى في سورة إبراهيم : " وإِذْ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ اذكُروا نِعْمةَ اللهِ عَلَيكُمْ إِذْ أَنْجاكُمْ مِن آلِ فِرْعَونَ يسومنكم سُوءَ العذابِ وَيُذبحونَ أَبناكُمْ وَيستحيونَ نِسَاءَكُم وفي ذلكَ بلاءٌ مِن رَبِّكم عظيم"[35].

---

[29] - سورة الأنعام ، الآية : 153 .
[30] - سورة يوسف ، الآية : 108 .
[31] - انظر بسيوني ، من بلاغة النظم القرآني ، مرجع سابق ، ص : 11 .
[32] - سورة الأنبياء ، الآية : 92 .
[33] - من بلاغة النظم القرآني ، مرجع سابق ، ص : 11 .
[34] - سورة البقرة ، الآية : 49 .
[35] - سورة إبراهيم ، الآية : 6 .

فقد جاء التعبير عن تذبيح الأبناء واستحياء النساء في سورة البقرة دون العطف على سوم سوء العذاب ، بل بياناً وتفسيراً له ، كما جاء ذلك في سورة الأعراف في قوله تبارك وتعالى : " يَسومُونكُمْ سُوءَ العَذابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَستحيُونَ نِساءَكُمْ "[36] .

وأمّا في سورة إبراهيم فقد جاء التعبير بالعطف ، أي قوله تبارك وتعالى " يذبحون أبناكم ويستحيون نساءكم " معطوفاً بالواو على قوله تبارك وتعالى : " يسومونكم سوء العذاب " .

" إنّ العطف بالواو قد جعل التذبيح شيئاً آخر غير سوء العذاب ؛ لأنّ المقام في سورة إبراهيم مقام تذكر بأيامِ اللهِ تعالى ، ومثل هذا المقام يقتضي تعداد النعم وتفصيلها ...أمّا المقام في سورة البقرة وسورة الأعراف فمقام تذكير بجنس النعمة ، ومثل هذا المقام لا يحتاج إلى تعداد النعم ولذا تُرِكَتْ الواو ووقع التذبيح والاستحياء بياناً لسوم سوء العذاب"([37]) .

وقال الفخر الرازي : " إنّ الفائدة التى يجوز أن تكون هي المقصودة من ذكر حرف العطف في سورة إبراهيم أنْ يُقالَ : إنّهُ تعالى قالَ قبلَ تلك الآية " ولَقَدْ أَرْسلْنَا مُوسَى بِآياتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَومَكَ مِن الظُلماتِ إِلى النَّور وَذَكِرهُمْ بِأَيامِ اللهِ ..." [38] والتذكير بأيام الله لا يحصل إلاّ بتعديد نعم الله تعالى فوجب أن يكون المراد من قوله " يسومونكم سوء العذاب " نوعاً من العذاب ، والمراد من قوله " ويذبحون أبناءكم نوعاً آخر من ليكون التخلص منهما نوعين من النعمة ، فلهذا وجب ذكر العطف هناك – أي في سورة إبراهيم– وأمّا في هذه الآية – آية سورة البقرة – لم يرد الأمر إلاّ بتذكير جنس النعمة حاصلاً فظهر الفرق "[39] .

---

[36] - سورة الأعراف ، الآية : 141 .
[37] - من بلاغة النظم القرآني ، ص 10 .
[38] - سورة إبراهيم ، الآية : 5 .
[39] - الفخر الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، مطبعة دار الفكر العربي ، 1405هـ ،ج3 ، ص :73 .

الخاتمة :

في الخاتمة توصل هذا البحث إلى نتائج وتوصيات ، فالنتائج هي :

أولاً – إنّ الكلام لايكون حسناً مقبولاً لدى أهل البلاغة إلاّ أن يكون مطابقاً لا لمقتضى الحال .

ثانياً – إنّ أساليب توكيد الجمل تأتي وفقاً لحال المخاطب ، كما وردت في سورة "يس" كأنموذج .

ثالثاً – كشف البحث الفرق بين دلالة التعريف والتنكير من خلال لفظ (السلام) الذي ورد في القرآن الكريم معرفاً ومنكراً ، أي : التنكير يفيد التعميم والشمول عكس التعريف الذي يفيد التخصيص ، وكذلك بيّنَ البحث اختلاف الدلالة البلاغية لكلمة (السبيل) عند الإفراد والجمع ، أي : دلالة الإفراد تعني دين الله وملة الإسلام ، ودلالة الجمع تعني طرائق الضلال ؛ لأنها متعددة .

رابعاً – بيّنَ البحث أنّ ترك العطف في سورة "البقرة" ، عند تقتيل الأبناء واستحياء النساء ، يفيد بيان لسوم سوء العذاب ، أمّا ذكر العطف في سورة "إبراهيم" فيدلّ على تعداد النعم وتفصيلها .

أمّا التوصيات ، فهي :

أولاً – أوصي الباحثين في اللغة العربية بالوقوف على القرآن الكريم وعلومه ؛ لأنّه خير مصدر للغة العربية .

ثانياً – أوصي الباحثين في البلاغة العربية عند الوقوف والتمثيل بالقرآن الكريم بشرح الأمثلة وتوضيح المعاني والدلالات المتقاربة حتى لايقع القاريء المبتديْ في اللبس .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .

1 -أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، تحقيق : د/ عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، ط -(1403هـ-1980م) .

2 -سيوني ،من بلاغة النظم القرآني ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ط1-(1413هـ- 199م)

3 -الجاحظ،البيان والتبين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي (مصر)،(د. ت) .

4 -الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، شركة البابي الحلبي (مصر) ، ط 2- 1966م .

5 -الخطيب القزويني ، الإيضاح ، مطبعة السنة المحمدية ، (د . ت) .

6 -الزمخشري ، الكشاف ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1-1992م .

7 -السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحقيق : د/ عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، ط1-(1403هـ - 1980م) .

8 -عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : د/ محمد التنجي ، دار الكتاب العربي (بيروت) ، ط1- (1425هـ - 2005م) .

9 -الفخر الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، مطبعة دار الفكر العربي ، طبعة - 1405هـ .

10 - محمد عبد الهادي أبو ريدة ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، مكتبة دار النهضة المصرية .

محمد محمد أبوموسى ، خصائص التراكيب ، الطبعة الثانية ، القاهرة .